

مقال : اليات تطور الفعل الاجرامي عند الجانح

من اعداد : عميري بومدين

الكلمات المفتاحية

الاحداث الجانحون الفعل الاجرامي الاليات النفسية و الاجتماعية

ملخص المقال

هدف هذا المقال إلى التعرف على دور الآليات النفسية خاصة الية التقمص و النمذجة في التفاعل النفسي والتكويني والاجتماعي في صيرورة المراهق المنحرف لينتقل من فعل بسيط إلى فعل إجرامي.

ولتحقيق ذلك استندنا على الطريقة العيادية التي تدرج في إطار المنهج الوصفي التحليلي، وكذا دراسة الحالة التي تتراوح أعمارهم بين 18 إلى 20 سنة كانوا موجودين بمؤسسات التأهيل لإعادة الإدماج للمراهقين بولاية تلمسان.

حيث كان لهم سوابق في قضايا متعددة ومتكررة حتى انتقلوا من فعل بسيط إلى فعل معقد كالقتل العمدى، التعدي بالأسلحة البيضاء، الانتماء وتكوين جماعات خطيرة، بيع المخدرات ،

وكان أسلوب المعاينة قصدي، أما أداة البحث فقد تم استخدام الملاحظة المباشرة والمقابلة وذلك برسم شبكة لكليهما، وقام الباحث بالتأكد من صلاحية المقال بتحليل تصريحات وسلوكات وتصرفات هؤلاء وكذا من ذكريات شعورية واللاشعورية كانوا محتفظين بها منذ الطفولة، وانطلاقاً من الخبرة المهنية وتعامله مع هذه الشريحة لعدة سنوات، ومن التقارير المسندة من الجهات الوصية.

فأظهرت النتائج أن ظاهرة جرائم الأحداث أو المراهقين المنحرفين يعود إلى استعمال هؤلاء آلية "التقمص" بنموذج معين في حركاته وكلماته وإيجاءاته وسلوكاته، حتى اندمجوا فيه كلية، ولذلك اعتبر الباحث عن أهمية "النمذجة" المكتسبة عن طريق التعلم الإجتماعي في حياة المراهقين المنحرفين الجزائريين.

وفي ضوء ذلك أوصى المقال بضرورة إعادة النظر في البنية التحتية والبشرية في الوسط المؤسسي لإدماج هؤلاء بطريقة سليمة وكذا كيفية إعادة بناء وترميم "الأنا الأعلى" لهذه الشريحة باتخاذ النماذج الصحيحة التي يتماهون بها.

Article summary

The objective of this article is to identify the role of psychological mechanisms, especially the mechanism of reflection and modeling in the psychological interaction, and the social and social in the process of becoming a deviant teenager .to move from simple action to a criminal act

To achieve this, we relied on the clinical method of the analytical descriptive approach, as well as the case study, aged 18 to 20, who were in rehabilitation institutions for the .reintegration of adolescents in the state of Tlemcen

Where they had precedents in multiple cases and repeated until they moved from simple action to a complex action such as intentional murder, infringement of white weapons, belonging and the formation of dangerous groups, the sale of drugs, and the method of sampling intended, and the search tool has been used direct observation and interview by drawing a network for both, The researcher verified the validity of the article to analyze the statements and behaviors and actions of these as well as the memories of the feelings and the subconscious had been held since childhood, and based on professional experience and dealing with this segment for several years, and the reports .assigned by the guardians

The results showed that the phenomenon of juvenile delinquency or juvenile delinquency is due to the use of these mechanisms to "reflect" on a particular model in its movements, words, inspirations and behavior, until they were fully integrated into it. The researcher therefore considered the importance of

"modeling" acquired through social learning in the lives of adolescent delinquents.

In light of this, the article recommended the need to review the infrastructure and human resources in the institutional environment to integrate them in a proper manner as well as how to reconstruct and restore the "higher ego" of this segment by taking the correct models that they like.

إن المراهق الجزائري أصبح يعاني من أزمة متعددة الأوجه، هذه الأزمة ليست حدثا تاريخيا عابرا بل تجد جذورها في المجتمع 70% من شريحته الشباب، هذه النسبة العالية لا تطرح إلا عن وجود عدة مشاكل واضطرابات على جميع المستويات النفسية، التربوية، الثقافية والاجتماعية.

إن تفكك العائلة، غلاء المعيشة، ضيق السكن، البطالة والتهميش والصعوبات والضغوطات اليومية أدت بـ"الأب" الجزائري إلى الاستقالة من وظيفته الأساسية في الأسرة، وهذا ما انعكس سلبا على المراهقين، حيث اتجهوا إلى وسائل أخرى بديلة.

من جماعات إنحرافية أو وسط متذبذب اكتسبوا منه مهارات ومعارف طوروا بها سلوكياتهم وأفعالهم الإنحرافية وأصبحوا يهددون كيان المجتمع ومستقبله حتى أصبح "منحرف اليوم- مجرم الغد"، واستندوا إلى نماذج تقمصوها وسهلت لهم السبل للوصول من فعل بسيط إلى فعل أكثر حدة.

وهذا ما وجدناه فعلا من خلال تجربتنا المهنية في المؤسسات المختصة لرعاية الشباب المنحرف كمربين مختصين لعدة سنوات وأنا أتعاش مع هذه الفئة، حيث أصبحت هذه المؤسسات بالنسبة للمراهقين

خاصة المنحرفين ما هي إلا خطابات لا معنى لها، إذ أصبحت شيراطون أو مراكز إقامة وتولت مهمة إعادة الإنتاج للإجرام. بدره ميموني معتصم، 2005، د.م.ج، ص10

وذلك راجع إلى ضعف القرارات وتناقض الأنظمة الداخلية وهشاشة البنية التحتية والبشرية وأصبحت تستقطب نماذج مختلفة ومتعددة من المنحرفين حتى اتخذها المراهقين "رموز" لتطوير الفعل وإعادة إنتاجه ولعبت دورا كبيرا في الصيرورة النفسية والتكوينية وأصبحت نشاط يتفاعل معها هؤلاء ومؤشر ضروري أضافت لهم استجابات جديدة لرصيدهم السلوكي وهذا بفضل التماهيات، فأصبحت آلية من الآليات النفسية التي يستعملها المراهقين لتحريك نشاطهم وتكوين شخصيتهم الانحرافية. العيد سليمان، الانحراف، ، 1990.المجلة العربية ص20

ولقد أصبح جرائم الأحداث الجانحين في الجزائر ظاهرة جديرة بالرصد و الدراسة خاصة في الآونة الأخيرة، حيث ارتفعت نسبتها و ازداد حجمها حسب الإحصائيات المحصل عليها من مصادر مختلفة، كالأمن الوطني المراكز المختصة و المصالح القضائية.. ، إذ أصبحت تشكل خطرا حقيقيا يهدد أمن الأشخاص و الممتلكات ، و كذا على الجانحين أنفسهم إذ يعتبرون أعمدة المستقبل و أمل المجتمع و العمود الفقري للأسرة.

كما أن الحدث المنحرف قد يكون مجرم الغد ، لأن الفعل الإجرامي لا يأتي من فراغ أو فجأة و إنما يلزمه دائما الإعداد ، الممارسة و التعلم ، و في نفس الوقت ليس بالضرورة أن الحدث المنحرف هو مجرم الغد ، إنما هناك مؤشرات توحى بالاستمرارية في الفعل حتى يصبح إجراما إذ لم يلقى الرعاية ن الحماية و التربية السليمة وإن كثير من الأحداث الجانحين في الجزائر كانت لهم استمرارية و صيرورة في الفعل، حيث ارتكزوا هؤلاء على آليات شعورية واللاشعورية لتحقيق ذلك. إذن ما دور الآليات أو الميكانيزمات التي يستند إليها الجانح حتى ينتقل من فعل بسيط إلى فعل إجرامي معقد؟ ما مصدر هذه الآليات ؟ و كيف تصبح نشاط يتفاعل معها الجانح حتى ارتبطت بحياته النفسية و صيرورته الاجتماعية و التكوينية؟ و هل الجانحين في الجزائر الذين انتقلوا من فعل بسيط إلى فعل إجرامي سلوكهم كان نابع من عمق شخصيتهم أو هو نتيجة تقمص لشخصية تعاني من أزمة؟؟.....

هذا ماتناوله هذا المقال من خلال عرض بعض الاليات النفسية والاجتماعية التي يستند اليها الجانح من اجل تطور فعله الارامي وهذا من خلال عرض بعض الارقام والاحصائيات التي تؤكد مدى تطور هذه الظاهرة .

إن الأرقام والإحصائيات التي استقيناها من جنوح المراهقين في ولاية تلمسان مثلا سواء في المركز المتخصص لإعادة التربية أو في الوسط المفتوح تعكس عن مؤشر يوحى بوجود شرخ اجتماعي خطير، خاصة لصلوع أغليبيتهم للإجرام، وأن استفحال هذه الظاهرة في السنوات الأخيرة وذلك بتسجيل ما يفوق 286 قضية لجنوح الأحداث خلال سنة 2017-2018، والتي عرفت ارتفاعا مقارنة بالسنة المنصرمة 2016 التي عرفت تسجيل 200 قضية.

وكانت أكبر حصيلة في 2015 حيث سجلت 194 حالة وأن جميع القضايا تورط فيها كلا الجنسين ذكر وأنثى. علي عوينات، مقالة، الجزائر، 2010.ص11

إن ظاهرة جنوح الأحداث أو تورط القصر في عالم الجريمة بصفة عامة والتي عالجتها هذه الدراسة نظرا إلى حساسيتها والتي تستدعي منا تشريحا دقيقا للبحث عن الأسباب التي أدت إلى تنامي هذه الظاهرة بهذا الشكل الخطير.

قد قدرت الإحصائيات لعدد الجانحين في السرقة وحدها 36 قضية في 2016 والتعدي بالأسلحة والضرب العمدي بـ 26 قضية في نفس السنة.

وتبقى السرقة والتعدي تتصدران القضايا منذ 2015

فبالرغم من النطاق الضيق لهذه الجريمة إلا أنها أصبحت تعرف تناميا مخيفا، وذلك يعود بالأساس إلى المتغيرات الكبرى التي عرفها المجتمع الجزائري خلال السنوات الأخيرة، خاصة فيما يتعلق بالتغيرات الثقافية والاقتصادية، وما أنجر عنه من نزوح كبير في الوسط الريفي اتجاه الوسط الحضري، وانتشار الفقر في الأحياء الشعبية، وهو الأمر الذي خلق ضعفا في الرقابة الأسرية عن الأبناء، ناهيك

عن التسرب المدرسي، مما شكل فراغا رهيبا بين هذه الفئة التي لم تجد ما تملأ به هذا الفراغ سوى اللجوء إلى سلوكات منحرفة كالسرقة.

وأن جل الأحداث يكونون عصابات خطيرة، وهذا ما أكدته الأرقام والإحصائيات حيث في سنة 2016 ألفت مصالح الأمن على 07 عصابات حيث تراوحت بين 2015 إلى 2018 من 5 عصابات إلى 7 عصابات، هذه المجموعات تستولي على المنازل، الفيلات والسطو على محتوياتها من ألبسة وحلي وجواهر ولوحات زيتية وحتى الآلات الإلكترونية... ويقومون ببيعها في السوق السوداء بأثمان بخسة من أجل شراء المخدرات، أو قارورات الخمر.... ومن الغريبة أن أطفال أقل من 15 سنة يسيرون العديد من هذه الجماعات.

وقد يعود سبب لجنوح الأحداث إلى غياب التنشئة الاجتماعية الصحيحة التي يتحملها بالدرجة الأولى الأسرة، والتي ينجر عنها نتائج وخيمة على حياة الطفل مثل الإخفاق في المدرسة ومن ثمة التسرب المدرسي، لأنه يؤدي إلى إهمال الشاب لواجباته المدرسية ويدفعه إلى التحايل والكذب ولتعويض الفشل يلجأ إلى إتباع أساليب غير مشروعة وذلك لتحديد هويته وإثبات وجوده في المجتمع، وهو ما يقودهم إلى ضياع رغباتهم وعدم وضوح غاياتهم في الحياة وعدم تحديد ما يريدونه.

وفي بعض الأحيان تكون السرقة تعبيرا رمزيا لغياب الحب الأبوي وقلة الإحساس بالاهتمام و الاحترام والمودة، ومن المحتمل أن يكون السبب أيضا وفاة أحد الوالدين أو غيابه لفترة طويلة أو مرض الأم بإصابة ذهنية أو سلوكات الأب اللامسؤولة كالإدمان على الكحوليات أو السرقة.....الخ وقد تكون سبب السرقة الحاجة والفقر والعوز والحرمان، فالمراهق يسرق لكي يسد الرمق أو يدفع غائلة الجوع، وقد يسرق تقليدا لنموذج سيء اقتدى به، كأحد الوالدين أو الأصدقاء أو الإخوة، ومن الأسباب قد نجد الإسراف في العقوبة دون النظر إلى الحاجة النفسية والظروف الاجتماعية التي دفعت المراهق للسرقة.

أما التعدي وتكوين جماعات أشرار فترمز إلى العنف والعدوانية التي عاشها المراهقين سواء من طرف أحد الوالدين أو المدرسة أو الشارع حتى أصبحت تراكمات مكبوتة فلجأ العديد منهم إلى التعبير عنها في العالم الخارجي.

إنهم يعايشون أحاسيس وغرائز ونظم مثلى يعبرون عنها بقوة خارقة عنيفة تقريبا ولهذا نجد -حسب الأرقام- العنف ضد الممتلكات وممثلي ذلك هم مراهقين غالبيتهم بين 14 سنة إلى 16 سنة

ويكون جماعي في أغلب الأحيان وفيه التدمير بكل أنواعه، ويحمل هذا التدمير دلالة تهدف إلى إثبات الذات وتحقيقه هوية معينة كما يعبر عن نكوص وصعوبات عايشها المراهق في مرحلة الطفولة سابقة كما يعبر عن رداءة توظيف المحيط الذي يعيش فيه أو رداءة الصورة الجدية، كما نجد العنف اتجاه الأشخاص ويحمل دلالة الانتقام وعدم تحمل الإحباط وضعف الإحساس بالذنب.

إن المراهقين المنحرفين داخل المؤسسة في كثير من الأحيان لا يؤهلهم إطلاقاً للاندماج الاجتماعي، فكل البرامج التي خضعوا لها لا تحدث في الواقع التغيرات المنشودة سواء على مستوى الشخصية أو الوسط الذي يعيش فيه، هذا ما جعله يندمج مع الجماعة ذات السلوك الإجرامي ويوطد الصلة معها من أجل تحقيق الأنا، لقد أكدت الإحصائيات وكذا من خلال تجربتنا المهنية مع هذه الفئة أنه توجد مرحلة فاصلة بين قضاء الأحداث لمدة إيداعهم بالمؤسسة الإصلاحية وبين عودتهم النهائية إلى المجتمع وأن كثير منهم عادوا إلى الفعل لكن بأكثر حدة وأكثر قوة.

وبالتالي إن ما يردده سواء داخل المؤسسة أو خارجها من تصريحات توشي بوجود أزمة على مستوى فئة أصبحت لا تفكر سوى في الانتقام، أو دخول السجن، أو السرقة أو الانتحار مرددين: "يؤكلني الحوت ولا دود بلادي"، "الحبس ولا دارنا"، "أنا يسموني الدراهم"، "الدورو هو أبا"، "صاحبي هو جيبني"، كل هذه التصريحات قد أصبحت أنماط سلوكية جديدة مرسخة في الإطار والتنظيم الاجتماعي، إن التعلم الاجتماعي القائم على ملاحظة النماذج من سلوكيات وأفعال وتصريحات يقوم عمليات من الانتباه القسدي بدقة تكفي لإستدخال المعلومات والرموز والاستجابات المراد تعلمها في المجال المعرفي والإدراكي، فالمراهقين المنحرفين يتعلمون عن طريق الملاحظة و يستقبل بدقة الأنماط السلوكية التي تصدر عن النموذج الملاحظ، بما فيها إيماءاته أو تلميحاته الصامتة وخصائصه المميزة لإستدخال المعلومات والإستجابات المراد تعلمها داخل المجال الإدراكي المعرفي للفرد الملاحظ وتؤثر

عمليات الانتباه القسدي هذه على انتقاد أو اختيار ما ينبغي الانتباه له و استدخاله من أنماط سلوكية تصدر عن النموذج ما يجب اكتسابه وتعلمه وما يمكن إهماله أو تجاهله.

ومن هذه الدراسة نجد أن معظم سلوكيات المنحرفين هي نتيجة إتباع نموذج أو مثال حي وواقعي وليس من خلال عمليات الاشتراط الكلاسيكي أو الإجرائي فبملاحظة الآخرين تتطور فكرة عن كيفية تكوين سلوك ما وتساعد المعلومات كدليل أو موجه لتصرفاتهم الخاصة.

يمكن بالتعلم عن طريق ملاحظة النموذج تجنب أخطاء أو اكتساب أخطاء لأن معظمها نتيجة الملاحظة سواء بالقصد أو بالصدفة.

ومن عوامل التعلم بالملاحظة المتعلقة بالنموذج الملاحظ منها:

المكانة الاجتماعية أو درجة نجوميته، فأغلبية النماذج المتماهية هم قادة فوج في المؤسسات أو ذات شهرة في التصرفات والأفعال. (باندورا، 1973، باريس ص44)

وما يصدر عن النموذج من أنماط استجابة مصاحبة وتأثيره الشخصي على الفرد الملاحظ ودرجة حياده أو موضوعيته في العرض، أو التشابه في الخصائص السلوكية المشتركة، ومن أهم الميكانيزمات التي يستند إليها لتحقيق ذلك انجد:

عمليات الانتباه: وهي القدرة على عمل تمييز بين الملاحظات وتحليل المعلومات وهي مهارات يجب أن تكون حاضرة قبل أن يظهر التعلم بالملاحظة والميزات معظمها يمر بدون ملاحظة أو انتباه.

إن عدد من المتغيرات تؤثر في عمليات الانتباه، بعض هذه المتغيرات تتعلق بخصائص القدوة وأخرى تتعلق بطبيعة النشاط وجزء آخر مرتبط بالشخص نفسه.

عمليات التذكر: يتذكر الفرد أعمال وأقوال النموذج عندما يلاحظ سلوكيات شخص ما بدون استجابة في نفس اللحظة، وهناك شكلان أساسيان من الرموز التي تسهل عملية التعلم بالملاحظة هما: "الكلام (اللفظي) الخيال"، لأن معظم العمليات المعرفية بالنسبة للمراهقين التي تتحكم في السلوك لفظية لا بصرية، والعلامات والتصورات الحيوية تساعد في عملية التمسك بالسلوك مدة أطول.

العمليات الحركية: وهي الميكانيزم الثالث للتقليد، فمن أجل تقمص نموذج معين يحدث تحول من التمثيل الرمزي للسلوك إلى تصرفات مناسبة فحسب مدرسة التعلم الاجتماعي فإن عمليات التكاثر الحركي تتضمن أربع مراحل فرعية هي: التنظيم المعرفي للاستجابة، بداية الاستجابة، مراقبة الاستجابة، تصفية وتنقية الاستجابة، ومن أجل أداء نشاط ما يكون هناك اختيار وتنظيم للاستجابة على المستوى المعرفي حيث يقرر ماهية النشاط، ثم تبدأ الاستجابة بناء على فكرة كيف يمكن أن تنفذ هذه الأفعال.

العمليات الدافعية: حسب نظرية التعلم الاجتماعي هناك فرق بين ما يتعلمه الشخص وما بين يستطيع القيام به، إن المراهقين المنحرفين لا يقومون بكل شيء يتعلمونه بل هنا يدخل في سلوك النموذج إذا كان ذلك السلوك يتمشى ونمط الشخصية المقلدة، ويدخل في عملية التعزيز الذاتي الذي يؤدي إلى استجابات تقييمية اتجاه السلوك الخاص الذي يقود إلى مواصلة الدخول في سلوكات مرضية.

لأن المجتمع الجزائري أصبح اليوم في صيرورة من التحولات الاجتماعية، الثقافية والسياسية و الاقتصادية بالمقابل ازدادت حدة المشاكل التي باتت اليوم مصاحبة لمجالات التشغيل والمساعدة الاجتماعية، الصحية، التربوية والتعليمية

تطرح عراقيل إضافية أمام فئة تعاني من الهشاشة وافتقار الضمير لمواجهة هذه التحديات، وعند غياب آفاق لتحسين هذه الشروط الاجتماعية يمكن التنبؤ بمزيد من تطور الانحراف في المجتمع، وكذا نمو الجماعات الانحرافية.

وفي المقابل تزداد حدة المشاكل وبالمطالبة بإيجاد حلول لها بالنسبة للمراهقين عموما من إجراء انسلاخ الأسرة في المجتمعات المعاصرة عن دورها التوجيهي والإرشادي، ويكاد ينعدم تدخلها مما قلص بشكل كبير من مساهمتها الأساسية في تأمين النمو العاطفي والاجتماعي للمراهقين الذين لا يزالون في حالة ماسة إلى مساعدة الآباء لتجاوز كبوات هذه المرحلة، الأمر الذي يلجأ فيه المراهقين إلى الوسط الذي يراه ملائما لتحقيق حاجياته، لذلك يندمج بنماذج يكسبها منه، ويصبح الوسط ملجأ يحقق فيه حاجياته سواء وسط اجتماعي أو مؤسساتي في كثير من الأحيان لا يستطيع المراهق التخلي عنه لأنه أصبح جزء من ذاته وهو بوتقة التفاعل الأساسية التي تمكن المراهق من التكيف الاجتماعي، فالوسط هو بنية ديناميكية تنشط بها الآلية النفسية لتحريك الفعل.

إن عالم المؤسسات بالنسبة للمراهقين المنحرفين يحمل تصورا خليطا بين الانسجام والتكامل حتى ارتبطت بحياتهم النفسية والتكوينية.

وأصبحت وسطا تأهليا تستجيب لكافة المتغيرات التي من الممكن أن تطور سلوك الحدث، وعليه إن الاهتمام بالوسط المؤسسي يضع الأحداث الجانحين من توظيف مهاراتهم الاجتماعية التي اكتسبوها من المجتمع واستثمارها فيما بعد لتوظيفها بعد انتهاء مدة إيداعهم بها.

ومن أهم المكتسبات داخل المؤسسة تنمية الكفاءة العلائقية وكذا التفاوضية مع الجماعة ذات السلوك الإجرامي وتحمل المسؤولية داخلها.

فالجماعة، الوسط والمؤسسة يحدثون تفاعل نشط في شخصية الجانح باعتبارهم مصدر للنموذج.

وعليه ومن خلال ما سبق لابد من تأهيل الوسط بطريقة خاصة حتى يستجيب لكافة المتغيرات التي من الممكن أن تطرأ على سلوك الحدث خلال مدة إيداعه بالمؤسسة الإصلاحية والاهتمام لما سيعود إليه عندما تنتهي مدة الإيداع.

إن المراهقين المنحرفين داخل المؤسسة في كثير من الأحيان لا يؤهلهم إطلاقا للاندماج الاجتماعي، فكل البرامج التي خضعوا لها لا تحدث في الواقع التغيرات المنشودة سواء على مستوى الشخصية أو الوسط الذي يعيش فيه، هذا ما جعله يندمج مع الجماعة ذات السلوك الإجرامي ويوطد الصلة معها من أجل تحقيق الأنا، لقد أكدت الإحصائيات وكذا من خلال تجربتنا المهنية مع هذه الفئة أنه توجد مرحلة فاصلة بين قضاء الأحداث لمدة إيداعهم بالمؤسسة الإصلاحية وبين عودتهم النهائية إلى المجتمع وأن كثير منهم عادوا إلى الفعل لكن بأكثر حدة وأكثر قوة.

- لأن المجتمع الجزائري أصبح اليوم في صيرورة من التحولات الاجتماعية، الثقافية والسياسية و الاقتصادية بالمقابل ازدادت حدة المشاكل التي باتت اليوم مصاحبة لمجالات التشغيل

والمساعدة الاجتماعية، الصحية، التربوية والتعليمية (مزوز بركو، ، مقالة، ا،
2009.الجزائر ص 12)

تطرح عراقيل إضافية أمام فئة تعاني من الهشاشة وافتقار الضمير لمواجهة هذه التحديات،
وعند غياب آفاق لتحسين هذه الشروط الاجتماعية يمكن التنبؤ بمزيد من تطور الانحراف في المجتمع،
وكذا نمو الجماعات الانحرافية.

وفي المقابل تزداد حدة المشاكل وبالمطالبة بإيجاد حلول لها بالنسبة للمراهقين عموما من
إجراء انسلاخ الأسرة في المجتمعات المعاصرة عن دورها التوجيهي والإرشادي، ويكاد ينعدم تدخلها مما
قلص بشكل كبير من مساهمتها الأساسية في تأمين النمو العاطفي والاجتماعي للمراهقين الذين لا يزالون
في حالة ماسة إلى مساعدة الآباء لتجاوز كبوات هذه المرحلة، الأمر الذي يلجأ فيه المراهقين إلى الوسط
الذي يراه ملائما لتحقيق حاجياته، لذلك يندمج بنماذج يكسبها منه، ويصبح الوسط ملجأ يحقق فيه
حاجياته سواء وسط اجتماعي أو مؤسساتي في كثير من الأحيان لا يستطيع المراهق التخلي عنه لأنه
أصبح جزء من ذاته وهو بوتقة التفاعل الأساسية التي تمكن المراهق من التكيف الاجتماعي، فالوسط هو
بنية ديناميكية تنشط بها الآلية النفسية لتحريك الفعل.

إن عالم المؤسسات بالنسبة للمراهقين المنحرفين يحمل تصورا خليطا بين الانسجام والتكامل
حتى ارتبطت بحياتهم النفسية والتكوينية.

وأصبحت وسطا تأهليا تستجيب لكافة المتغيرات التي من الممكن أن تطور سلوك الحدث،
وعليه إن الاهتمام بالوسط المؤسساتي يضع الأحداث الجانحين من توظيف مهاراتهم الاجتماعية التي
اكتسبوها من المجتمع واستثمارها فيما بعد لتوظيفها بعد انتهاء مدة إيداعهم بها.

ومن أهم المكتسبات داخل المؤسسة تنمية الكفاءة العلائقية وكذا التفاوضية مع الجماعة
ذات السلوك الإجرامي وتحمل المسؤولية داخلها.

فالجماعة، الوسط والمؤسسة يحدثون تفاعل نشط في شخصية الجانح باعتبارهم مصدر
للمنموذج.

وعليه ومن خلال ما سبق لابد من تأهيل الوسط بطريقة خاصة حتى يستجيب لكافة المتغيرات التي من الممكن أن تطرأ على سلوك الحدث خلال مدة إيداعه بالمؤسسة الإصلاحية والاهتمام لما سيعود إليه عندما تنتهي مدة الإيداع.

كما يوجد انماط تحمل ثقافة إجرامية داخل لمؤسسة تنقي منها الجانح افكار تكون في المستقبل مصدر لتطفر فعله الاجرامي ومن اهم النمذج نجد :

"النموذج العصابي" يحتل مكانة في المراكز المختصة وكثيرا ما يأخذ الأشكال القهرية يحمل جرائم السرقة والاعتداءات الجنسية، وكذا الأشكال العدوانية التي تتميز بالكف والقلق والاكتئاب والدخول في صراعات ومشاحنات مع الآخر، لهذا في كثير من الأحيان يكون طبيعة التكفل بالنموذج العصابي بجلبه إلى الفريق التربوي حتى لا يؤثر على الآخرين من الناحية السلبية.

فالاهتمام والرعاية بهذا النمط يخدم كثيرا النظام المؤسساتي.

النموذج "السيكوباتي" فيتميز بافتقاره إلى الضمير الحي ولديه هواية المخادعة والمراوغة وإيذاء الآخرين واستفزاز المربين و المهتمين به، كما أنه دائما يبحث عن تجارب مرعبة لإثارته لمشاعر الآخرين ويرغب في الجديد كاستهلاكه أنواع جديدة من المخدرات أو العقاقير وأن لديه بواعث ودوافع قوية وغير قادر على تأخير وإتباع رغباته في تحقيق سلسلة من الأهداف ومتسرع في اتخاذ القرار وكذا في تحقيق الأهداف العليا بدون بذل مجهود وكثيرا ما يكرر الفعل الإغراقي كما أنه لديه القدرة في إقناع وتوريط الآخرين .

أما علاقته الاتصالية مع الآخر فنتميز بالضحالة وتفتقر إلى الإخلاص والحب ويتصرف بقسوة وتسلط اتجاه من هم اضعف منه.

هذا النموذج كثيرا ما يحدث خلا في النظام المؤسساتي ويحدث هياجا في الفوج مما يؤدي كثيرا إلى فصله عن الآخرين مما يحدث له جرحا في نرجسيته وعليه يلجأ إلى الهروب أو تكرار الفعل لكن أكثر قوة للانتقام .

إما النموذج الذي عمل ثقافة إجرامية نتيجة إيمانه للانترنت خاصة في المجالات الجنسية الفاضحة أو نتيجة تأثره بالأفلام وتقمصه لشخصيات تمثيلية تحمل معنى البطل أو الرمز في مجال العنف والصراع مثل هذه النماذج تتميز بالتنظيم والثبات و الاستقرار وحتى الآراء في حكايتهم وكلامهم وكثيرا ما يستطيعون تكوين علاقات اجتماعية إما مع زملائهم أو مع المربين.

ومهما يكن فإن هذه الأنماط أو النماذج تبقى نسبية لأنها تتقيد بالعدد المحدود من العينة وكذلك بالزمان التي تطرقت إليه الدراسة، وعليه تبقى محدودة وإمكانية تعميم النتائج تقتصر على هذه الحدود.

هناك الآلاف من المراهقين المنحرفين في مجموع التراب الوطني المودعين بالمؤسسات الإصلاحية والمراكز المختصة، الذين فروا من الهشاشة الأسرية، والظروف الاجتماعية القاسية، مما جعلهم يلجؤون إلى وسط منبوذ أو الإنتماء إلى جماعات أصبحت مأوى خصبا لتكوين شخصيتهم، مما أدى بهم إلى اللجوء إلى الجنوح والانحراف والخروج عن معايير العقل السوي، وكذا الانتقال من مستوى الجنوح البسيط أو الخطأ إلى الجنوح الإحتراقي بالعودة إليه باستمرار أو التطور إلى الإجرام.

إن جرائم الأحداث بالجزائر يظل واقعا مفضوحا لا تتفع معه محاولات الترقيع أو الإخفاء لأن المؤسسات تعاني "العطب" الإصلاحي والإدماجي وأصبحت مصدر لتطوير الآلية النفسية والتكوينية للمراهق.

- إننا الآن كمربين أو أخصائيين نفسانيين أو اجتماعيين، مدعوين بالحاح للبحث مليا في شروط الإنتاج وإعادة الإنتاج "النفسي-الإجتماعي" من أجل بناء وإعادة بناء نظام مؤسساتي يسهل في إسعاف سلوك الجانحين. العيد سليمان، ، ، 1990. المجلة العربية ص22

إننا لم نفتحم عالم الجنوح، على اعتبار أن الفعل الجانح هو فعل شاذ ومستقر يستوجب منا في كل حين مزيدا من البحث والدراسة وكذا طرح التساؤلات طلبا للفهم والتفسير، بحكم وأنا أتعامل مع هذه الفئة عدة سنوات هذا ما دعاني إلى التعاطي والتعامل معها بانفتاح بحثا عن إجابات ممكنة ومن أجل تشريح سلوكات الجانحين الين انتقلوا إلى الإجرام لكن وبالرغم من التطور الذي عرفته النظريات والمناهج في العلوم الإنسانية، فإن التمكن العلمي من هذه الظاهرة أصبح بعيد المنال لأن سلوك الجانحين

هي مثيرة جدا للجل المعرفي ولا يمكن أن أصل إلى تفسير مقنع لشروط إنتاج السلوك الإجرامي عند الجانح.

ما تطرقت إليه هذه الدراسة ما هي إلا تفسير من جانب يمكن أن أقول أنه ضيق لأن آليات فعل التطور الإجرامي عند الجانح هي متعددة ومتفاعلة فيما بينها ومندمجة ومتداخلة لا يمكن في كثير من الأحيان الفصل عن آلية وأخرى، أما "التماهي" بالنموذج ما هي إلا ترجمة نفسية اجتماعية لها دور دينامي في تحريك النشاط النفسي والتكويني في صيرورة الجانح.

ومن جانب آخر دور المؤسسات الاجتماعية في تنشئة المراهقين وتحويلهم إلى إعادة الإنتاج أكثر للانحراف والإجرام، وذلك بتشربهم بعدد من المواقف والممارسات والتجارب النفسية و الاجتماعية التي يكتسبونها من الشخصية الأكثر انحرافا ذات الأثر البعدي و التأثيري والتي تساهم في نهاية المطاف في تكوينهم، وكذا مما يسمعون من كلام اتجاه أنفسهم الذي يصدر من الآخرين على أنهم فئة منبوذة غير صالحة.....

كل هذه المصطلحات تولد فيها شحنات تزيدهم قوة وازدراء.

إن إنتاج جرائم الأحداث يتحتم علينا الوقوف بإمعان عن مدى الأبعاد النفسية و الاجتماعية لما يريد أن يقوله هؤلاء المنحرفين من أجل إسماع صوتهما وما مدى فهم دلالات الفعل الانحرافي لوضع حد لتهميشهم وإقصائهم والإنتقام منهم.

إن حالة الفوبيا التي يعيشها المجتمع من اكتساح هؤلاء لهجوم محتمل في أي مكان وزمان هي دليل على تقاوم ثقافة الإجرام، فانتساع رقعة المرض الاجتماعي والنفسى هي ثمرة نتاج مباشرة تتحمل مسؤوليتها جميعا، لأن شروط إنتاج الجنوح والإجرام يتحدد في مثلث الفقر، الحرمان والتهميش، أي أن الشرط الاجتماعي يلعب الدور المركزي في تكريس سلوك الجانح، هذا مع التأكيد أيضا على ضرورة الأخذ بعين الاعتبار باقي العوامل الأخرى النفسية والتكوينية التي تساهم في خلق الظاهرة الإجرامية، فالجهود التي تبذل من قبل المربين في المراكز المختصة لإعادة تربية الجانحين، تظل في كثير من الأحيان بلا معنى، لأن هذا أغلبية الجانحين سيعودون مجددا بعد انتهاء المدة إلى ذات البيئة التي أنتجتهم، وسيجدها طبعاً منضبطة لنفس الشروط التي جعلته ينحرف، مما يحيل الأمر في حلقة مفرغة تفقد

ففيها كل الجهود والمبادرات الطامعة إلى إعادة تربية الجانحين كل المعاني والمحتويات، هذا ما جعلهم لكي يتطلعوا بأن يعودوا إلى المركز والمؤسسة الإدماجية مرة أخرى، وذلك لا يكون إلا بالعودة إلى الفعل.

إن جرائم الجانحين بالجزائر لا يمكن هزمها والتوقف منها بدون مشروع مجتمعي تشترك فيه جميع الجهات من أجل ضمان الأمن المادي والنفسي في حياة المراهقين المنحرفين.

وعلى كل حال، إن هذه الدراسة كشفت بعض الآليات في حياة الجانحين آملين أن تكون مفتاح لدراسات أخرى مستقبلية أكثر دقة وأكثر إيضاح حتى تكشف عن هوية الجانح، فإلى متى نبقي لا نعطي إهتمام لشريحة في منتهى الأهمية وهي تسير إلى التطور والإنتشار، سوف تكون نتائجها وخيمة على أنفسهم وعلى المجتمع، ونحن نعيش عصر العولمة.

المراجع :

- المراجع باللغة العربية:

- العبد سليمان، وقاية الأولاد من الانحراف، المجلة العربية، 1990.
- الدويري عدنان، الانحراف الاجتماعي، الكويت، 1991.
- الرازي محمد، مختار الصحاح، دار الفكر، الجزائر، 1989.
- بدره ميموني معتصم، الإضطرابات النفسية والعقلية عند الطفل والمراهق، دم.ج، الجزائر، الطبعة الثانية، 2005.
- رشاد علي عبد العزيز موسى، أساسيات الصحة النفسية والعلاج النفسي، مؤسسة المختار، القاهرة 2000.
- موسى كمال إبراهيم، سيكولوجية العدوان، الكويت، 1985.
- جابر عبد الحميد جابر، سيكولوجية التعلم ونظريات التعلم، القاهرة، دار النهضة العربية، 1976.
- فرويد سيغمون، القلق، دار النهضة العربية، بيروت، 1962.
- نعامه سليم، سيكولوجيا الانحراف، الرسالة، بيروت، 1985.
- نسامية الخشاب، النظريات الاجتماعية ودراسة الأسرة، دار المعارف، سلسلة علم الاجتماع المعاصر، الطبعة الأولى 1982.
- سليمان عبد المنعم، أصول علم الإجرام والجزاء، بيروت، 1996.
- د/ موفق هاشم صفر الحلبي، الإضطرابات النفسية عند الأطفال والمراهقين، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية، 2000.
- يوسف الأقصري، كيف نفهم الشباب ونتعامل معهم؟، دار الطائف، القاهرة، 2002.
- صبري جرس، مشكلة السلوك السيكوباتي، دار المعارف، مصر، 1999.
- مصطفى حجازي، الأحداث الجانحون، دار الطليعة، بيروت، 1981.
- رمسيس بنهايم، علم الإجرام والعقاب، الإسكندرية، 1986.
- محمد خلف، مبادئ علم العجرام، الطبعة الثانية، ليبيا، 1978.
- محمد أحمد الزغبى، أسس علم النفس الجنائي، الأردن، 2001.
- زيور مصطفى نفين، من النرجسية إلى المرأة، مكتبة الأنجلو المصرية، 2000.

- ميخائيل إبراهيم أسعد، علم الغضطرابات السلوكية، بيروت، 1977.
- شلدون كاشدال، علم النفس الشواذ، د.م.ج، 1972.

2- المراجع باللغة الأجنبية:

- Bandura, Agression, New York, 1973.
- Bandura, Principes de modification de comportement, paris, 1969.
- Gendreau G, L'intervention psycho-éducative, Solution ou défis, paris, 1978.
- Leblanc M, Quelle stratégie d'intervention choisie pour les adolescents en difficulté?, Québec, article, 2000.
- L'Oeber , la pré direction de la délinquance, paris 1978.
- Gerrard Bonnet, le remords, paris, 2002.
- Michel et Roger Perron, fantasme, Action, pensée, alger, 1997.

3- المقالات والمذكرات:

- د/ علي توينات، علم الإجرام، مقالة، الجزائر، 2010.
- جريدة الشروق اليومي، 2011/2010/2009.
- د/ علي عوينات، ظاهرة جرائم الأحداث، مقالة، الجزائر، 2010.
- مزوز بركو، النظريات المفسرة للانحراف والجريمة، مقالة، الجزائر، 2009.
- أحمد خليفة ومحمد يتاح، علاقة الحرمان من سلطة الأب بجنوح الأحداث، مذكرة ليسانس، وهران، 1989.

